كتبها Administrator

الأحد, 29 مارس 2015 01:14 - تم التحديث فى الجمعة, 03 يناير 2020 16:12

إعداد المجتمع للحياة

أوروبا نموذجا

أقصد بهذا المصطلح : كيفية قيام الانسان فى اى مكان فوق الأرض بتطويع وتطوير البيئة التى يعيش فيها أو تحيط به ، لكى تصبح ملائمة لحياته ومريحة لعمله ورفاهيته على أفضل صورة ممكنة.

ومن الواضح أن شعوب العالم ليست متساوية الحظوظ بالنسبة إلى البيئات التى توجد فيها . فبعضها يعيش ميسورا فى بيئة غنية الموارد ، وبعضها الآخر يعانى من بيئة فقيرة وقاحلة ، بعضها تهطل علي أرضه الأمطار وتجرى فيها الأنهار بينما يعانى بعضها الآخر من التصحر والجفاف .

لكن من طبيعة الانسان انه مخلوق يستطيع ان يتكيف مع مختلف الظروف ، ويمكنه ان يحصل على حاجاته الاساسية من المطعم والملبس والمسكن . وفى سبيل تحسين وتطوير هذه الحاجات الاساسية الثلاث ، انقسم العالم حاليا الى قسمين كبيرين : احدهما متقدم ، والآخر متخلف .

أما القسم المتقدم فهو الذى بذل فيه الانسان جهدا شاقا ، استغرق زمنا طويلا ، لكى يحسن وسائل الحياة فيه ، سواء للفرد أو للمجتمع كله ، ومن اجل ذلك اخترع الأدوات البدائية ثم الآلات الميكانيكية وأخيرا الأجهزة الالكترونية وذلك كله من أجل توفير جهده العضلى ، والحصول على أفضل عائد من النتائج المنشودة .

أما القسم الآخر من العالم فقد ظل ـــ كما كان من مئات السنين ـــ منكفئا على ذاته ، يعيش حياته يوما بيوم ، غير مقدر لقيمة التطور، الذى يقوم على العلم ، ولا للنتائج المترتبة عليه ، لذلك فقد ترك البيئة المحيطة به تتعقد وتتشابك وتنحدر دون ان يتدخل لتهذيبها واسغلال
مواردها لصالحه .

فى أوروبا مثلا ، يهطل المطر فى معظم شهور العام ، ولما يكاد ينقطعطوال الليل والنهار ، ومع ذلك فقد استطاع الانسان هناك أن يهـ ـيء لنفسه البيئة التى لا يؤثر فيها هذا المطر المتواصل ولا البرد القارس من خلال بناء المنازل بصورة تحمي سقوفها من تساقط المطر ، ورصف الشوارع بأسلوب خاص بحيث لا تتجمع فيها المياه ، حيث يتم صرفها مباشرة فى فتحات تحت الارصفة . وهكذا بمجرد توقف المطر ، تعود الشوارع جافة ونظيفة ومبهجة . وبالنسبة الى البرودة التى تصل احيانا الى ما تحت الصفر ، تتوافر التدفئة اللازمة فى البيوت والمقاهى واماكن العمل ومحطات المترو والقطارات .

وفيما يتعلق بالصرف الصحى ، قام الانسان هناك ببناء مدن بكاملها تحت المدن السكنية ، وهى عبارة عن مجموعة شبكات رئيسية وفرعية لتصريف المجارى بحيث يتم تجميعها فى اماكن محددة ، حيث يجرى تنقيتها ومعالجتها للاستفادة منها فى الزراعة والتسميد ، وبالتالى لا يوجد فى اى بلد اوربى ما يعرف بـ : طفح المجاري !

أما مشكلة القمامة التى تعانى منها بلاد العالم المتخلف (والتى نطلق عليها مجاملة : البلاد النامية) فقد توصل الانسان الاوربى الى حلها منذ وقت طويل . واليوم ، اصبح المواطن يشارك بكل وعى وطواعية فيه : فقد اصبح كل فرد يقوم بوضع أصناف القمامة التى يلقيها فى حاويات مخصصة لذلك : الزجاجات الفارغة فى واحدة ، والفوارغ المعدنية فى الثانية ، ثم بقايا الطعام والأوراق المستعملة فى الثالثة . وهذه الأصناف الثلاث لا تلقى فى أكوام بالعراء ، وإنما تنقل إلى مصانع ضخمة تقوم بتدويرها ، وإعادة تصنيعها ، والافادة من محروقاتها فى تدفئة الأماكن العامة .

وبالنسبة الى المواصلات ، التى تمثل عصب العمل فى المجتمع ، نجح الانسان هناك فى عمل شبكة متكاملة من الطرق ، السريعة والبديلة ، وكلها مرصوفة بصورة جيدة . وعلى جانب هذه الطرق تنساب القطارات السريعة والأسرع من الصوت بكل دقة وانتظام . هذا بين المدن الرئيسية ، أما داخل المدينة الواحدة وضواحيها ، فهناك المترو ، والأوتوبيس الذى لا يسمح فيه براكب يقف على قدميه ! ثم التاكسى الذى لا يقبل سوى راكب واحد ، وأخيرا السيارات الخاصة
وكل ذلك من أجل ان ينتقل الانسان من منزله الى مكان عمله وبالعكس على نحو مريح ، ودون أن يفقد جزءا من طاقته وأعصابه فى الطريق .

أما مكان العمل فتتوافر فيه كل الظروف اللازمة لراحة الموظفين من ناحية وسلاسة الاجراءات للمواطنين من الناحية الاخرى . الكل ملتزم بمواعيد الحضور والانصراف دون تكاسل او أعذار . والنشاط هو السمة الغالبة ، كما لا توجد رشوة ولا محسوبية . والموظف الذى لا يحب عمله بإمكانه ان يبحث عن عمل آخر حتى لا يعيش يائسا او مكتئبا . ومدة العمل فى أوربا كلها تبدأ من الثامنة صباحا وتنتهى فى الخامسة ، يتخللها ساعة واحدة لتناول وجبة خفيفة فى الساعة الثانية عشرة ظهرا .

اما الجمهور الذى لديه معاملة فى إحدى المصالح الحكومية فلا يقال له أبدا: (فوت علينا بكره) لأن الكمبيوتر يقدم كل المعلومات المطلوبة فى لحظة خاطفة .

وبعد العمل الجاد طوال الأسبوع ، تأتى الأ جازة التى تمتد يومين كاملين (السبت والأحد) . وهنالك من ينادى بجعلها ثلاثة أيام ! وذلك لكى يستريح الانسان جسما وعقلا وروحا ، حتى يكون أكثر قدرة على مواصلة العمل بعد ذلك بكل همة ونشاط . وهكذا تصبح الفرصة متاحة أمام الموظف أو العامل لممارسة هوايته المفضلة ، مثل الخروج إلى الضواحى أو الريف ، وفى فصل الصيف إلى الشواطئ ، أو الذهاب إلى السينما أو المسرح ، أو تبادل الزيارات مع الأهل والاصدقاء .

وفيما يتعلق بحرية الرأى والتعبير لمن يريد أن يمارسها ، تفتح الأحزاب السياسية أبوابها لمن يرغب فى الانضمام إليها ، وفيها يحق لكل من له طموح سياسى أن يعبر عنه ، وأن يتناقش فيه مع زملائه ، فضلا عن قيامه ببعض الأعمال ذات الطابع الاجتماعى أو الخيرى . ولا شك أن هذه الفرصة تتيح للفرد ألا ينعزل او يتقوقع أو يقع فريسة لبعض التجمعات الخارجة على نظام المجتمع.

أما الجانب الاخلاقى ،وهو المتصل مباشرة بالسلوك الفردى ، فان الانسان الأوربى يعتبره من الأمور الشخصية التى لا يتدخل فيها أحد ، أى أنها متروكة لاختيار كل شخص حسب ما تمليه عليه تجربته الإنسانية وثقافته العامة ، دون أن يحاول فرضها على الآخرين . وعموما فإن هذا الجانب هو الذى يباعد بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق ، ويؤدى أحيانا إلى رفض (كل) ما لديه .

لكن مما يحسب للإنسان الأوربى أنه نجح فى القضاء على الأمية ، وبذلك استطاع أن يحرر الأفراد من الجهل ، وبالتالى عدم استقاء معلوماتهم من أشخاص غير مؤهلين قد يضللونهم أو يخدعونهم . إن من يستطيع أن يقرأ هنالك تنفتح أمامه آفاق واسعة من المعرفة فى مختلف مجالات الحياة ، وهذا ما يجعله يقف على الحقائق بدلا من الشائعات ، وعلى وسائل النجاح الحقيقية بدلا من الوقوع فى فوضى الاجتهادات . وهنا تقوم دوائر المعارف ، العامة والمتخصصة ،والقواميس وسلاسل المعرفة المبسطة بدور كبير للغاية فى تثقيف وتوعية الجميع فإذا أضفنا إلى ذلك ما تم أخيرا من تطور هائل فى وسائل الإعلام ، وما أتاحته شبكة الانترنت ـــ أدركنا إلى أى مدى وصل الإنسان الأوربى فى ميادين المعرفة والثقافة العامة .

وهنا لا بد أن نستعين ببعض المقارنة : فقد كان الفارق كبيرا جدا بين الغرب الأوربى الذى سبق إلى إعداد المجتمع للحياة لديه على نحو جيد كما رأينا ، وبين الشرق الذى تأخر عنه حوالى قرنين من الزمان . لكن الخمسين سنة الماضية شهدت انطلاقة كبرى فى الشرق الأقصى (اليابان ، الصين ، الهند .. الخ) بحيث بدأت تقترب ، بل أحيانا تتفوق على الدول الأوربية العتيقة . وهكذا أصبح كل من الشرق والغرب يتقاسمان التقدم ، ويتشابهان فى إعداد المجتمع للحياة .

أما الشرق الأوسط الذى يقع جغرافيا بين أوربا والشرق الأقصى فهو الذى ما زال متعثرا فى خطواته ، وغارقا فى جدل لفظى حول أهمية التقدم ؟ ومناهجه ؟ ووسائله ؟ وإمكانياته ؟ ـــ والمشكلة الأهم أن الأفراد فيه ، مثل الدول تماما ، حين يختلفون فى الآراء والرؤي يتحولون إلى أعداء ، يضرب بعضهم رقاب بعض !

إن إعداد المجتمع للحياة لا تبدأ من فراغ ولا بصورة عشوائية ، وإنما من تلبية الحاجات الثلاث الضرورية للإنسان ، وهي المأكل والملبس والمسكن ، وليس المقصود بالطبع مجرد توفيرها وإنما الارتقاء بها إلي أفضل نحو ممكن . فلا بد أن يخلو المأكل من التلوث ، والملبس من الإضرار ، والمسكن من العشوائية .. ويكفي أن يلقي المسافر بالطائرة نظرة من الجو علي أي مدينة أوربية أو آسيوية حاليا ليشاهد : دقة التخطيط ، وجمال التنظيم ، من خلال مجمعات المساكن المتناسقة ، والطرق الرئيسية والفرعية التي تتخللها ،بالإضافة طبعا إلي حدائق المنازل ، والأشجار التي تحيط بها ، وإشارات المرور التي تضبط حركة المرور فيها . ومن المؤكد أن هذا كله لم يأت من فراغ ، بل إنه يخضع بكل دقة لتخطيط جيد ، وتنفيذ كفء ، ومتابعة يقظة ، وصيانة مستمرة ، بالإضافة إلي قانون صارم يعاقب كل خارج على هذا النظام ، فلا يتصور أبدا أن يتجرأ أحد على تعلية مبنى أطول من المبانى المجاورة ، أو يشغل الرصيف أمام منزله بسلسلة تعوق حركة المشاه .

هذا مجرد مثال . لكنه يعبر عن أن إعداد المجتمع للحياة يبدأ وينتهى بإعمال العقل فى دراسة البيئة ، وحل مشكلاتها ، وعدم إضاعة الوقت والجهد فى جدليات فارغة ، ودوران لا نهاية له حول أمور لا تقدم فى كل يوم شيئا مفيدا لحياة الانسان .

كتبها Administrator

الأحد, 29 مارس 2015 01:14 - تم التحديث فى الجمعة, 03 يناير 2020 16:12

ولعلنا الآن في غير حاجة إلي أن نؤكد علي أن إعداد المجتمع للحياة لا يتناقض فقط مع الجهل والإهمال واللامبالاة ، وإنما أيضا مع التعصب والتطرف والإرهاب. ومن الطبيعي ألا يتعايش البناء مع الهدم ، ولا النظام مع الفوضي ، ولا الجمال مع القبح والخراب . وهنا نصل إلي نقطة علي درجة كبيرة من الأهمية، وهي ضرورة أن تتناسق وتتعاون القوانين في الدولة مع ثقافة المجتمع وسلوكه الطوعي ، وإيمانه بأن الحياة لا تستقيم إلا بأكبر قدر من الالتزام ، وعدم تغليب المصلحة الشخصية للفرد علي الصالح العام للمجتمع الذي يعيش فيه ،والذي يجري إعداده أيضا لاستقبال أجيال جديدة من الأبناء والأحفاد من بعده .